

ورقة سياسات إصنيخ

تصرف الأطفال بين النشأة والبلوغ

الباحث: هاشم محمد العرباوي
جهاز مكافحة الإرهاب



نطرف الأطفال بين النشأة والبلوغ

الباعث: هاشم محمد العرباوي
محرر مكالمة الإرهاب

تاريخ الاستلام: 2023/8/11 ، تاريخ الإرجاع: 2023/9/12 ، تاريخ الموافقة: 2023/10/19

التطرف هو فكرة وهمية يتبناها اأدهم من أجل صياغة عمل غير مرحب به في مجتمع معين وتتمحور هذه الفكرة إلى تلبية رغبة اأدهم أو مجموعة ما في بيئة غير مرحبة لهذه الفكرة وغالبا ما يعمل التطرف على محاولات لبسط تلك الفكرة بشتى الطرق والسبل، وظاهرة التطرف هي ليست صنعة اليوم بل قديمة وما وصل إلينا هو فكر تطرف متطور، إذ أدت الفكرة المراد ترويجها دورا كبير في القضاء على مجتمعات برمتها وخير دليل على هذا هو الفكر المتطرف الذي تبناه داعش الإرهابي في عمله لبسط السيطرة المطلقة على العراق وسوريا.

فان التطرف هو نواة لعمل كبير يكون مخطط له مسبقا فيعتبر التطرف هو غلاف لتسويق أفكار معادية ربما لنظام دولي أو دين أو مذهب، وهنا يجب ان نسال هل من الممكن ان يتبنى شخص واحد فكرة متطرفة أم جماعة؟ الجواب نعم يستطيع شخص ان يأتي بفكرة متطرفة على فئة معينة في محيط معين ولا يقتصر التطرف على فئة دون أخرى ولا يتحدد بعمر ولا حتى جنس بل الكل معرض له ويمكن للتطرف ان يدخل المجتمع من الأطفال كي يتم تهيئتهم للمستقبل وهذا بحد ذاته سلاح كبير يتم استخدامه منذ النشأة ويكون معد ومجهز للانطلاق بأي لحظة كانت، فهم قنابل موقوتة معدة للانتشار لان استهداف الأطفال شيء مثمر للأفكار المتطرفة لان عقل الطفل هو بيئة



صالحة لاكتساب أي معلومة او فكرة او نظرية ويمكن من خلال تلك العقلية نشر اكبر عدد من الأفكار والسلوكيات المراد ترويجها.

أولاً : البيئة المحيطة ونأثيرها على عقلية الطفل

تؤدي البيئة المحيطة بالطفل دور كبير في صناعته وهذه البيئة هي التي تكون ربما درع واقى من الأفكار المتطرفة او هي تساعد على ان تدخله في هذه الظاهرة حيث تأثير الاهل والأصدقاء والاقارب والدراسة كلها مقومات لصناعة الطفل، لكن الفرق هو اما يكون تأثير سلبي او إيجابي وتنقسم البيئة الى عدة اقسام يمكن من خلالها ان نبين ما هي التأثيرات الأكثر خطورة:

1. البيئة المدنية

أي سكان المدن وتمتاز هذه البيئة على انها بيئة طرية او ربما تكون هشة نوعا ما بسبب الانفتاح التي تعتمد اليه مجتمعات هذه البيئة سواء من الناحية الفكرية او الاجتماعية والأسرية على الاغلب تكون مجتمعات البيئة المدنية في تفكك دائم وتساعد على ان تكون سطح ناعم لكل الأفكار التي تطرح ويمكنها ان تتقبل الكثير من الأمور وغالبا ما تكون منطلق او مرتكز لانتشار الأفكار المراد تسويقها.

2. البيئة القبلية (المشائية)

وتمتاز هذه البيئة بالقوة والصرامة بسبب الأعراف والعادات التي يتربى عليها الطفل او يمكن تسميتها بالقوانين القبلية، إذ تكون هنا الفكرة هي محاربة بحد ذاتها إذا ما كانت شاذة ولا زالت البيئة القبلية هي البيئة المحافظة على قيمها التي ترعرعت عليها وتكون الكلمة هنا هي كلمة الأكثرية المطلقة ولا يمكن ان تكون فكرة دخيلة هي السائدة بسبب المتابعات المستمرة في نشر التقاليد التي تساهم بدورها في محاربة الفكر المتطرف.

3. البيئة الصحراوية (البداوة)

رغم ما فيها من اعراف صارمة الا انها بيئة يمكنها ان تسهم في نشر الأفكار المتطرفة ويمكنها استلام ما يراد منها وذلك بسبب قلة الوعي والتثقيف لأنهم مجموعة أناس مبتعدين كل البعد عن التطور والحدثة وعلى الأكثر ليس لهم تماس مع العالم الخارجي.





ثانياً : دور العائلة بالنشأة للطفل في العراق

العوامل التنموية المسببة لنشوء الارهاب وانجرار المجتمعات الى العنف والتطرف، والاثار المترتبة على الاسرة والطفولة بهذا الصدد، بالإضافة الى المعاناة التي يواجهها الاطفال الذين تربوا في ظل اسر متهمه بالإرهاب، إذ إنّ نقطة البداية في تحليل هذه المشكلة ستكون الأسرة، وكبلد شرقي، تأخذ العائلة مكاناً مهماً في المجتمع العراقي، وهي أول نواقل القيم في عملية التنشئة -بوصفها العملية التي يُتناقل بمقتضاها القيم عبر الأجيال- ومن البديهي أنّ أيّ مشكلة تواجه البلد على المستوى العام سيكون لها انعكاسات على الركن الأول في المجتمع، وهي الأسرة، وبالقدر الذي ترتبط فيه مشكلة أطفال داعش بالفكر المتطرف، فإنّه تشكّل حلقة من سلسلة طويلة من الانتكاسات التي مرّت بها الأسرة العراقية، وانعكست سلباً على الفرد، منذ طفولته، وهو ينشأ في بيئة مضطربة، تاريخ مضطرب مع الاضطراب السياسي الذي رافق عمر الدولة العراقية الحديثة منذ تأسيسها، فإنّ هناك استقراراً نسبياً حافظ عليه المجتمع العراقي تمثّل في تماسك الأسرة، وما يترتّب على التماسك من قيم أخرى، مثل حفظ الجيرة، والعلاقات العشائرية المتواشجة، وفي غضون ذلك، ومع عدم الاستقرار الاقتصادي وتراوح البلد بين الفقر والصعود التنموي التدريجي في العقد الأخير من النظام الملكي، وصولاً إلى الفورات النفطية، فقد طوّر المجتمع العراقي (ملزماً وظيفياً) تمثّل بالتكاتف الاجتماعي لحصر آثار الفقر، وفي بؤرة ذلك التكاتف كانت الأسرة، فإذا مات الفرد قام محله أخوته، أو أخوة زوجته، يتكفلون بالأطفال تربية وتنشئة، في ظل قبول طبيعي للواجب الأسري، وامتنال للمسؤولية التي يضعها المجتمع على ذوي الميت تجاه أبنائه وزوجته⁽¹⁾.

نستنتج من هذا ان على الدول إيجاد سبل حل للكثير من الأمور المتعلقة بالأسرة واولها التفكك الاسري نتيجة حالات الطلاق والنزاعات العشائرية والفقر لما لها من انعكاس سلبي على الاسرة ولان الاسرة هي انطلاق حقيقي لبناء مجتمع ناجح وامن واكثر استقرار اذ لابد من وجود جدار يمنع هذه الحوادث لأنها وبشكل من الاشكال ستؤثر حتما على مستقبل الأطفال في المستقبل القريب كيف ذلك عندما ينشأ الطفل على النزاعات والكراهية والعدوان سيحمل بداخله فكر عدائي بحت وهذا ما يسبب في المستقبل تقلبات حياتية من



ناحية التعامل مع المقابل وسيكره لغة الحوار ولم يصل اليها لأنه يفكر بالقوة دائما والشراسة في تعاملاته اليومية وفي حين ان الطفل انفصل عن والديه او احدهما سيتغذى على أفكار خارجية ربما تخالف الأعراف والقوانين وحتى الدين من هنا ندعوا الى وضع ثوابت رصينة تقوم بها الحكومات من اجل ضمان مستقبل امن للأطفال.

ثالثاً : ماذا صنع داعش مع الأطفال في العراق والشام

في عام 2015 وحده، تحققت الأمم المتحدة من 274 حالة تتعلق بالأطفال جندهم تنظيم داعش الارهابي، وأن مراكز في ريف حلب ودير الزور وريف الرقة قدمت تدريباً عسكرياً إلى ما لا يقل عن 124 فتى تتراوح أعمارهم ما بين العاشرة والخامسة عشرة، وتزايدت بشدة حالات استخدام المقاتلين الأطفال الأجانب التي تم التحقق منها، وكان من بينها 18 حالة تتعلق ب الأطفال لم يتجاوز بعضهم السابعة من عمره، ووردت أنباء عن استخدام الأطفال لتنفيذ عمليات الإعدام وظهر هؤلاء الأطفال في تسجيلات فيديو، أما في العراق، فالتنظيم الارهابي اختطف أكثر من 1000 طفل من قضاء الموصل في واقعتين حدثتا في حزيران/يونيو أيلول/سبتمبر، وكانت صعوبة الوصول إلى مناطق النزاع تحد من القدرة على جمع بيانات دقيقة، فمن المعروف أن الأطفال المجندين كانوا يستخدمون في التجسس والاستطلاع، وفي نقل الإمدادات والمعدات العسكرية، وتنفيذ الدوريات، وتشغيل نقاط التفتيش، وتصوير الهجمات بالفيديو للأغراض الدعائية، وزرع الأجهزة المنفجرة، والمشاركة الفعلية في الهجمات أو حالات القتال، ومن المرجح أن تكون هذه الأرقام تقديرات تقل بكثير عن الأرقام الحقيقية بسبب قلة فرص الوصول إلى الأماكن التي تقع فيها الانتهاكات ضد الأطفال⁽²⁾.

ان الجماعات الإرهابية تستخدم الأطفال بهذا العمر لأنهم ببساطة سريعو التعلم ويمكن السيطرة عليهم فكريا وجسديا ويمكن تغذيتهم بالأفكار المرادة وذلك بسبب النضوج العقلي لهم ولأنهم لم يتعلموا بعد أي شيء يمكن له ان لا يغير انطباعهم من هذه الجماعات وأيضا استخدام عمليات التخويف والتجويع في بعض المرات تجلب الحل السريع للتعامل مع الأطفال هكذا اعمار ومن البديهي ان الإرهاب يستفاد من هذه الاعمار للأطفال بسبب تعامل القوات الأمنية معهم بحسن نية لأنهم ببساطة أطفال وهذا هو سبب





يجعل الإرهاب أكثر فائدة منهم لما يحملوه من إمكانيات هم غير مدركين لها عكس مستغليهم من الإرهابيين الذي يعلموهم في كل يوم على السلاح والقتال الأعزل وغيرها وهذه الأمور أقل أهمية من التغذية الفكرية المتطرفة التي تروم ان تعبت في الأرض فسادا.

رابعاً: التحديات ومخاطر العودة للأطفال بعد تنظيم داعش

ارتكبت داعش الارهابي جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية بين عامي 2014-2017 ضد المجتمع اليزيدي في العراق ، وقد خلصت لجنة تحقيق تابعة للأمم المتحدة في 2015 إلى أن تنظيم داعش ارتكب انتهاكات ضد الديانة اليزيدية ترقى إلى مستوى الإبادة الجماعية؛ إذ اختطف الأطفال الأيزيديين، واستعبدهم، وعذبهم، وأرغمهم على القتال، واغتصبهم، وعرضهم لانتهاكات شنيعة أخرى لحقوق الإنسان، وفي حين تعرض آلاف الأطفال للقتل أو الاختطاف نجا المئات منهم، وعادوا إلى أسرهم في العراق، ومع ذلك لم تأذن عودتهم إلى ديارهم بنهاية معاناتهم، فقد واجه هؤلاء الأطفال الضحايا تحديات ملموسة لدى عودتهم إلى عائلاتهم ومجتمعهم؛ فغالباً ما تعرضت صحتهم الجسدية للوهن الشديد وعانى العديد منهم أمراضاً عقلية؛ فقد عجزوا أحياناً عن النطق أو حتى فهم اللهجة الكردية التي تتحدث بها عائلاتهم، ولم يستطيع كثيرون منهم التسجيل مرة أخرى في المدارس بعد أن ضاعت عليهم عدة سنوات، ويواجهون عراقيل في الحصول على وثائق مدنية جديدة أو بدل فاقد، وهي ضرورية في العراق لممارسة الحقوق الأساسية والحصول على المزايا الرئيسية.

أخبر الآباء وأفراد الأسرة الآخرون الذين يقدمون الرعاية للأطفال الذين عادوا عقب وقوعهم في أسر تنظيم داعش، منظمة العفو الدولية بأنهم يجدون صعوبة في تلبية احتياجات هؤلاء الأطفال؛ فالعديد من العائلات الأيزيدية باتت فقيرة ويُعزى جزء من ذلك، في حالات عديدة، إلى أنهم أرغموا على دفع آلاف أو عشرات آلاف الدولارات كفدية لضمان الإفراج عن هؤلاء الأطفال وغيرهم من أفراد العائلة من الأسر لدى تنظيم داعش، ولاحظ أيضاً العاملون في المجال الإنساني غياب برامج تثقيف الأهل وغيرهم من مقدمي الرعاية حول ما يمر به أطفالهم أو حول كيفية مساعدة أطفالهم على التكيف عقب عودتهم من الأسر، وفي ضوء التحديات العديدة التي يوجهها مقدمو الرعاية في إعادة دمج الأطفال



الضحايا وتقديم الرعاية لهم، عبّر عدد منهم عن يأسهم من أوضاعهم فمثلاً أبلغت أرزان - التي قالت إن ابنها البالغ من العمر 14 عاماً تتنابه نوبات غضب، ونشاط مفرط، وميول عدائية - منظمة العفو الدولية: "في البداية كنت أحلم بعودته إليّ ثم لما عاد لم أتمكن من تناول وجبة طعام واحدة طبيعية معه، ولا قضاء لحظة طبيعية واحدة معه، ولا يمكن أن يكون الوضع أسوأ من ذلك⁽³⁾."

نفهم من هذا ان التعامل مع الأطفال يحتاج الى تعامل خاص، لماذا اختار داعش الإرهابي الأطفال الايزيديين دون غيرهم لانهم ليس مسلمين كما يزعم وفي نفس الوقت لم يستطيعون الاطفال الاطلاع على دينهم وحقيقته ومبادئه بسبب دخول داعش ولان داعش يطلق على نفسه الدولة الإسلامية اخذها ذريعة لتحويل الايزيديين الى اسلامه المزعوم ولكي يكسب الراي العام ويثبت حقيقته الذي يتصورها على انهم الخلافة الحقيقة للإسلام وكسب عقول وقلوب الجمهور المناصر وجعل دخول الأطفال الايزيديين الإسلام وتعليمه لهم بالأفكار هو انتصار على القوى الأخرى المتمثلة بالحكومات، هذا وان المجتمع الايزيدي عانا ما عاناه من داعش في تلك الفترة حيث نعطي الحق لأهالي الأطفال المسترجعون من داعش الحق في كيفية التعامل معهم لانهم تشبعوا بتلك الأفكار المنحرفة والمتطرفة الذي نمت عليها عقولهم حيث زرعوا الكره والتعصب والا إنسانية فيهم من خلال ما قدموه لهم من تغذية فكرية وعملية أيضاً متمثلة في القتل وانحر للبعض.

نجد ان الفكر المتطرف يستخدم الأطفال لأغراضه الشخصية حيث يمكنه استغلالهم بكل الطرق المباحة مما يسهل له عمله الاجرامي وتنفيذ فكره المتطرف وان الأطفال منذ نشأتهم لديهم فطرة يمكنهم استقطاب الأفكار بسهولة وتحويلها الى أفعال مما يدعم فكر داعش الإرهابي وبانسيابية كبيرة جدا هذا ما عمد داعش اليه هو الاستفادة القصوى من الأطفال في المعارك وفي جميع الاتجاهات منها التجسس والقتل ومنهم من يجلي الغذاء والماء وهكذا حيث هيمنت الفكرة على عقول هؤلاء الأطفال والنتيجة الخاسر الاكبر هم الأطفال.

خامساً : مواجهة الاعتقال بنهمة الإرهاب وكيفية التعامل معهم





انتقدت منظمة "هيومن رايتس ووتش" قيام سلطات حكومتي العراق وإقليم كردستان باتهام مئات الأطفال بالإرهاب لانتمائهم المزعوم لتنظيم داعش، ودعت إلى إعادة تأهيلهم، وقالت المنظمة في تقرير يحمل عنوان "لازم كلكم تعترفون: الانتهاكات ضد الأطفال المشتبه في انتمائهم إلى داعش في العراق"، إن "السلطات العراقية وسلطات إقليم كردستان تعتقل وتلاحق غالبا الأطفال الذين لهم أي صلات مزعومة بداعش، وتعذبهم لانتزاع الاعترافات وتحكم عليهم بالسجن بعد محاكمات سريعة وغير عادلة⁽⁴⁾.

وشددت المنظمة على أن القانون الدولي "يعترف بأن الأطفال المجندين من الجماعات المسلحة هم في المقام الأول ضحايا ينبغي إعادة تأهيلهم وإدماجهم في المجتمع". وقالت جو بيكر، مديرة المناصرة في قسم حقوق الطفل في المنظمة "يحتجز الأطفال المتهمون بالانتماء إلى داعش ويُعذبون ويُحاكمون بغض النظر عن مستوى مشاركتهم مع التنظيم. وهذا النهج القمعي ظالم وسيخلق عواقب سلبية دائمة للعديد من هؤلاء الأطفال". وأضافت "معاملة العراق وحكومة إقليم كردستان القاسية للأطفال أقرب للانتقام الأعمى من جرائم داعش منها للعدالة. الأطفال المشاركون في النزاعات المسلحة لديهم الحق في إعادة التأهيل والإدماج، وليس التعذيب والسجن."

ان ما ورد أعلاه ليس فيه دليل يثبت ذلك من تعذيب وغيره من الأمور خضع لها الأطفال ولكن ما نراه هو ان الأطفال الذي خرجوا من تحت تلك العصابات يجب ان يعاملون معاملة خاصة نظرا لتلك الظروف التي عاشوها وخصوصا ما يحملوه من فكر متطرف ويجب ان يخضعوا لبرامج تأهيلية ومن بعدها يتم التحدث اليهم لكي تستفاد السلطات مما لديهم من معلومات وما شابه أي يجب ان يتم اراحت عقولهم المتخمة بالأفكار المضللة والإرهاب الفكري وتعشعش الجريمة وقطع الكراهية من جوفهم وانتزاع الفكر الإرهاب الداعشي واستبدله بفكر الإنسانية من خلال مواكبتهم والعمل معهم ودراستهم بشكل او باخر اما عن محاكمتهم كما زعم التقرير هم نوع خاص يجب حصرهم في مكان واحد هذا امر لا بد منه بسبب عدم اختلاطهم بمن هم بأعمارهم بل يجب عزلهم وتأهيلهم ومن ثم دمجهم من جديد بالمجتمع.

التوصيات:



1. العمل على إيقاف كل ما يسبب تفكك الاسرة بوجود او اصدار قرارات قانونية تخص حالات الطلاق والنزاعات العشائرية.
2. العمل على القضاء على الفقر لأنه يدخل في تفاصيل الفقرة الأولى وان لم يكن قضاء عليه اذا يجب لرفع مستوى المعيشة اكثر من المتوسط للمجتمع.
3. عمل دراسات مفصلة بالأعداد ونوع الخطورة والاعمار للأطفال الذي تخلصوا من داعش من اجل تأهيلهم تمهيدا لانخراطهم بالمجتمع من جديد.
4. دخول منظمات المجتمع المدني الدولية والمحلية خصوصا في عمليات التهيئة والتطوير لهؤلاء الأطفال لما لهم من معرفة بالمجتمع محليا.
5. وضع خطة مستقبلية من قبل الحكومة لحماية الأطفال في المستقبل من أي جهة كانت الاسرة المجتمع وغيرهم واخص عمليات الاستغلال.

المصادر والمراجع:

-
- (¹) علي عبد الهادي المعموري، أطفال داعش: إرث النزاع وعتمة المستقبل، مركز البيان للدراسات والبحوث، بغداد، 2022.
 - (²) دليل بشأن الأطفال الذي تجندهم الجماعات الإرهابية والجماعات المتطرفة العنيفة، مكتب الأمم المتحدة المعني بالمخدرات والجريمة، 2018، ص1.
 - (³) منظمة العفو الدولية، شبكة المعلومات الدولية، Index Number: MDE 14/2759/2020
 - (⁴) رايتس ووتش تنتقد تعذيب الأطفال المشتبه في انتمائهم لداعش في العراق، السادس من مارس / آذار 2019.

